

ماسمّاه تبلر باللهجة البابلية ، وهي في حد ذاتها خشنة وبربرية ، غير أن الروح المميزة المستثارة والخبرة الواسعة جعلتنا منها الوسيلة الى هذا القدر الكبير من الإفادة، وهذا القدر الكبير من المتعة ، مما يجعلنا، شأن العشاق الآخرين ، نجد الرشاقة في انحرافها».

وهذا النقد يبدو لي محقاً من الناحية الجوهرية ، وما لم نقبل به فأنا لأحسب في الواقع ، اننا في الطريق الى تقدير العظمة الغربية لملتون . أما أسلوبه فليس بالكلاسيكي، بمعنى أنه ليس ارتقاءً بأسلوب شائع، عن طريق اللمسة الأخيرة للعبقرية، الى العظمة وإنما هو ، من الأساس، وفي كل نقطة من نقاطه ، أسلوب شخصي، لايرتكز على الحديث الشائع ، أو النثر الشائع ، أو الإيصال المباشر للمعنى. وقد يجد المرء حيال بعض الشعر العظيم صعوبة في الإفصاح عن ماهيته، وعن اللمسة المتناهية في الدقة التي صنعت كل الفرق بين الإفادة البسيطة التي كان في وسع أي أمرئ أن يؤديها، وعن التحويل الطفيف الذي ينطوي دائماً على التغيير الأقصى، وليس الأذى أبداً ، في اللغة العادية، على حين يدع الإفادة البسيطة إفادة بسيطة. وكل تحريف في التركيب، من الصيغة التعبيرية الأجنبية ، واستعمال كلمة بطريقة أجنبية، أو بمعنى الكلمة الأجنبية التي اشتقت منها تلك الكلمة بدلاً من المعنى المقبول في الانكليزية، وكل خصوصية في المزاج ، كل هذا عمل فذ من أعمال العنف كان ملتون أول من ارتكبه فليس هناك رؤسوم ، ولا إلقاء شعري بالمعنى الانتقاصي، وإنما هو نسق خالد من أعمال الخروج على القانون الأصيلة. ومن بين كل كتّاب الشعر المحدثين يبدو لي أن أقرب نظير له هو مالارمييه ، وهو شاعر أقل منه شأنًا الى حد كبير على الرغم من أنه يظل عظيمًا، أما الشخصيات والنظريات الشعرية للرجلين فما كان لها أن تكون أكثر اختلافاً مما هي عليه ، غير أن هناك شياً بعيداً فيما يتصل بالقسر الذي تمكنا من القيام به وتبرره تجاه اللغة. ويعد شعر ملتون شعراً من حيث هو أبعد التحولات الممكنة عن النثر. أما نثره فيبدو لي مفرطاً في اقترابه من الشعر ذي النظم الجزئي الناقص الى حد لايجعل منه نثراً جيداً .